مدينون لهم فى كل ما نعتز به من حياة ، فعلى أى عذر نقيمه فى كل ذلك ؟؟ وبأى منطق نناقشه الحساب ، وهو فى مكانه هذا من رجال الأمة ؟؟ هل يفيد معه أدب فى النطق المهذب ؟؟ أم يكون المنطق غير سليم إذ يلتزم معه الدعوة إلى الحض بالحكمة والموعظة الحسنة ؟

فأى منطق يستقيم فى تأديبه وهو ينبز أخبار الأمة وأعلامها أمثال لطفى السيد باشا وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وطه حسين وعباس العقاد واحمد بدوى وعبد الرازق السنهورى ومحمد على علوبه ومحمد فريد وجدى ، أقول : أى منطق يستقيم فى تهذيب كرد على تحت سماء المجمع العلمى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهو ينبز هؤلاء بالكلاب ؟؟

دمشق

الهوامش

صاحب مجلة العروبة

من المواقف الأدبية

عام الكف

للاستاذ محمد سيد كيلانى

كانت حانة دراكتوس فيما مضى مجمعاً للأدباء والوجهاء يلتقون فيها كل مساء ويقضون شطراً كبيراً من الليل يتحدثون فى مواضيع شتى ويتبادلون النوادر والفكاهات . وكان بعض الكتاب يحرر فيها مقالاته التى ينشرها فى الصحف . ومن هؤلاء محمد بك المويلحى صاحب جريدة مصباح الشرق التى كانت تصدر وقتئذ . وكانت بينه وبين الشيخ على يوسف صاحب المؤيد عداوة شديدة وخصومة عنيفة وكانا يتبادلان الشتائم والسباب على صفحات جريدتيهما .

وقد حدث فى ذات ليلة من ليالى أكتوبر سنة ١٩٠٢ بينما كان المويلحى جالساً مع بعض أصدقائه أن دخل شاب من أبناء الأغنياء اسمه محمد نشأت فداعبه المويلحى كعادته فما كان من هذا الشاب إلا أن رفع يده وهوى بها على خد المويلحى .

فانتهز صاحب المؤيد هذه الفرصة وأخذ يذيع خبر هذا الحادث بين الناس ويكتب عنه فى جريدته مظهراً الشماتة والسخرية بعدوه اللدود محمد المويلحى . فنشر مرة تحت عنوان « تنصرت الأشراف من اجل لطمة » مقالا جاء فيه « . تخرج جبلة الأيهم من دينه ولم تخرج أنت من جودك ، فإن كان ذلك لحلم منه وأنت فى الحان ، فما معنى هذا الغضب وأنت فى دارك بين الجدران ؟ »

وقد فتح للشعراء بابا سماه « عام الكف » فشرع هؤلاء يتسابقون فى نظم المقطوعات التى تفيض بالهزء والسخرية .

وقد اعترض أحد الشعراء على قولهم «عام الكف» واقترح أن يطلق عليه « عام القفا » . قال :

سموه عام الكف وهو الذى يؤخذ من معناه أن قد كفى
ما هو عام الكف لو أنصفوا لكنه فى الحق عام القفا

فهو هنا يبين وجهة نظره فى اقتراحه فيقول إن الكف مصدر كف عن الشىء بمعنى تركه وارتدع عنه . ولو أنهم وفقوا إلى الصواب فى نظر هذا الشاعر لدعوه (عام القفا) ولكن يرد عليه بأن المويلحى لم يضرب على قفاه وإنما لطم على خده . فذكر القفا هنا أمر لا محل له .

وشاعر صعيدى يزعم أنه سمع دوى هذا الكف وهو مقيم بالصعيد . ويتساءل عن صاحب هذه الراحة الجبارة التى صفعت خد المويلحى . قال :

لى سؤال يا أهل مصر فردوا بجواب عن السؤال مفيد
أى كف قد باشرت صفع خد فسمعنا دويها فى الصعيد

فانظر إلى هذا الكذب الصريح الذى يدعو الإنسان إلى الضحك .

وآخر يعرب عن سرور الصحافة وفرحها بما حدث

للمصفوع فيقول :

هي صفعة سر الصحافة وقعها ... ورجا بيان مثلها وبديع
كانت تؤملها البلاد ليرعوى ... غر ويعرف قدره المخدوع

أو يقول

هي صفعة لهج الأنام بذكرها ... ودرى البعيد بها ومن لم يعلم
قد بالغ الأدباء في أوصافها ... ما بين منثور وبين منظم
فغدا قفاك يقول منذ هلالهم ... هل غادر الشعراء من متردم

فهنا ترى مبلغ الخصومة الصحفية وأثرها في هذه الأبيات . فالصحافة مبتهجة فرحة وكذلك البيان والبديع . والبلاد كانت في شوق شديد إلى ما لحق المويلحي من الإهانة على يد الصافع فلعله يرعوى ويزدجر ويترك الشتائم التي يجرى بها قلمه كل يوم ، ولعله يرجع عن غروره ويعرف أنه ضعيف لا يقدر على رد الأذى عن نفسه .

والشاعر هنا قد نفس عن شعوره المكبوت وعبر عن غيظه وحنقه على المصفوع . وخيل إليه أن البلاد كلها تشاطره فرحه وسروره بما حدث للمويلحي . ويقول إن هذه الصفعة قد سار ذكرها في الآفاق وعلم بها القاصي والداني وأكثر الناس من التحدث عنها وتناولها الكتاب والشعراء . وانظر إلى التضمين في البيت الأخير .

على أن أبلغ ما قيل في هذا الموضوع وأدعاه إلى الضحك تلك المقطوعات التي نشرها تباعاً في المؤيد الشاعر الكبير اسماعيل صبري . وقد أجرى هذه المقطوعات تارة على لسان المويلحي مفتخراً بمتانة صدغه الذي لم تؤثر فيه أكف الصافعين بل ارتدت عنه كما ترتد القذيفة أمام الحصن القوي . وتارة على لسان ابن المويلحي ، وتارة على لسان صاحب المؤيد ، ومرة على لسان الصافع ، وأخرى يسوق القول في صورة نصيحة يوجهها إلى المصفوع . ومثال ذلك قوله :

يا ابن الألى رسخت أحلامهم ورست ... إذ الأكف مجانين مها وبس
لا تدخل الخان والصفاع ثائرة ... حتى تقام حواليك المتاريس
وقل لصدغك يستقبل وفودهم ... بالباب : إنهم قوم مفاحيس

وهذا إمعان في السخرية . فأنت ترى الأكف تهوى على خد المويلحي في حالة هوس وجنون وتتوالى متدفقة بغير روية ولا تفكير والمصفوع جالس كالطود الثابت لا يبدي حراكا ولا يحاول أن يقاوم أو يذود عن حياضه ، بل ترك الأكف تفعل بخده ما تريد . ثم أخذ الشاعر ينصح المصفوع بألا يدخل الخان ولا يأخذ مكانه فيها قبل أن تقام حوله الحواجز التي تحميه من شر الأكف . ثم تمادى الشاعر في التهكم وبالغ في السخرية فأشار على المصفوع بأن يدع خده يستقبل وفود الصفاع على الباب ويجلس هو وراء الحواجز آمنا مطمئنا على نفسه فصدغه سيحمل عنه عبء هذه الأكف الثائرة المجنونة .

والحق أن اسماعيل صبري أظهر في هذه المقطوعات براعة فائقة في التهكم المر والسخرية القاسية . وفيها مع ذلك فكاهات تدل على خفة روح ذلك الشاعر وانظر إلى قوله :

أعرني يا ابن ابراهيم صدغا ... لأخوض به غمار الصافعينا
فإن هو قد أعارك ما ترجى ... رأيتهم أمامك هاربينا
كما هرب الفتى الصفاع يوما ... أمام الكاتب ابن الكاتبينا
وخلف ثم وب الخان يجلو ... على المغلوب كأس الغالبينا
ويغبط ذلك الصدغ المفدى ... على ارغام كف الضاربينا

فاسماعيل صبري تمادى في التهكم حتى عكس القضية فجعل الغالب مغلوبا مهزوما أمام صدغ المويلحي ، وذلك لأن هذا الصدغ كما تصوره الشاعر كجلمود صخر تدمى عليه أكف الضاربين فيولون منه هربا . وجعل صاحب الخان يغبط المصفوع لأنه انتصر بصدغه القوي المتين ، وينصحك بأنك إذا أردت أن تخوض غمار الصافعين وتخرج من المعركة ظافراً منتصراً كانتصار المويلحي فما عليك إلا أن تذهب وترجوه أن يعيرك صدغه . فإن أجابك إلى طلبك رأيت الصفاع أمامك وقد ولوا هربا . وهذا نوع طريف من الهجاء فيه صور جديدة مضحكة إلى حد بعيد .

ومن الصور الجديدة في هذا الشعر الهجائي تلك المحاورات التي تدور على لسان والد المويلحي أو على لسان ابنه أو على لسان الصافع أو على لسان المصفوع أو على لسان صاحب المؤيد فكأنك تقرأ شعراً تمثيلياً وكأن مقطوعات اسماعيل صبري شهد